المثل الباهر.. في دنيا الاستسلام

عندما امم العراق البترول في مطلع حزيران من عام ١٩٧٢ ، لم يكن التوقيت الذي اختاره مصادفة . فلقد اراد ان يرد على الهزيمة ، وان يعمل على ان تعيد الامة ثقتها بنفسها . فاول حزيران اراد ان يسهم في محو ذكرى الخامس من حزيران . وعندما اختار كيسنجر ان يتم فصل الارتباط في جنيف في اول حزيران ، لم يكن يفعل ذلك مصادفة ، لانه كان يريدان يعمل على ان تستعيد اسرائيل ثقتها بنفسها فتحصد نتائج ٥ حزيران عام ١٩٦٧ ، في اول حزيران عام ١٩٧٤ ، وقبل ان تمر الذكرى السابعة للنكسة العربية المروعة .

ولعل من غريب المفارقات ايضا ، الا تستطيع كل سنوات الهزيمة التي سبقت حرب اوكتوبر ، ان تحمل العربي الى طاولة المفاوضات للتوقيع على انهاء الاشتباكات ، وابعاد احتمالات الحرب ، فيما استطاعت حرب اوكتوبر نفسها والتي اكدت امكانية النصر العربي ، ان تحمله الى طاولة المفاوضات ، والاستعداد للمفاوضات المباشر مع العدو .

لقد كانت سوريا تعتبر حديث «المفاوضات عن كثب» وكانه هرطقة وطنية ، بل كانت ترى مجرد الاتيان على ذكر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وكانه الكفر القومي . اما الان فقد اصبح قرار مجلس الامن امنية من امنياتها ، واصبح الذهاب الى جنيف للجلوس قبالة الاسرائيليين عملا مطلوبا . ذلك ان حرب اوكتوبر – كما قال اسماعيل فهمي امس – قد قضت على «العقد» عند العرب ، اي عدم الخوف من «الانفتاح على الصديق والعدو» .

وهذا يعني في محصلته ان «جرعة» تشرين كانت ضرورية لجعل بعض القادة العرب يسارعون للاعتراف العملي بالعدو ، وفتح باب التفاوض معه ، والتعهد العملي بقبوله ، مقابل تخليه عن بعض المواقع ، التي لا يرى فيها ضرورة استراتيجية ، او التي لا يشكل التخلي عنها ، اساءة لضمانات امنه وسلامته !

من هنا ، فان استلهام ذكرى اكبر ضربة للاحتكارات النفطية وجهت حتى الان في المنطقة يوم اول حزيران من عام ١٩٧٢ ، نوع من التذكير ، بان الاستسلام للارادات الاجنبية ، ليس هو الطريق الوحيد امام الامة العربية ، وان الخطوات النضالية المدروسة ، التي تحميها ارادة ثورية فولاذية ، يمكنها ، ان تحقق للامة اضعاف ما تحققه المساومات واللهاث وراء الحلول الاستسلامية .

واخيرا ، فانها لم تكن مجرد مصادفة ، ان العراق الابي ، قد قرن مساهمته المجيدة في حرب تشرين ، بالاجهاز على ما تبقى من احتكارات نفطية على ارضه . ذلك ان معركة التحرير لا تتجزأ . وقد اعطى العراق المثل اقتصاديا وعسكريا ، عن امكانية خوضها والانتصار الباهر فيها .

« بيروت »